الدعم الشامل بشأن تنشئة الأبناء لمنع الإساءة والإهمال:

دعوة الحكومات الوطنية إلى وضع سياسات

unicef
for every child

OFFICE OF THE SPECIAL REPRESENTATIVE OF THE SECRETARY-GENERAL ON
VIOLENCE AGAINST CHILDREN

World Health Organization

إن برامج وتدخلات تنشئة الأبناء المسندة بالبيّنات طريقة قابلة للتوسع وعالية المردود لدعم الآباء والقائمين على الرعاية ومنع إساءة المعاملة والإهمال والشدائد في مرحلة الطفولة. وهي تُسهم في جودة الصحة النفسية والرفاه للأطفال والقائمين على رعايتهم، وتحد من سلوكيات خوض المخاطر في جميع مراحل العمر. وفورَ تغطية تكاليف البدء الأولية، تصبح تكلفة تقديم تدخلات تنشئة الأبناء لكل أسرة مماثلة تقريبًا لتكلفة برنامج التلقيح الروتيني للأطفال.[1]

إن تنشئة الأبناء مسألة واسعة ومتعددة الأوجه من مسائل السياسات التي تعتمد عليها جوانب كثيرة من النمو الاجتماعي والعاطفي والبدني للأطفال. وتوضح هذه المذكرة كيف يمكن لحزمة صغرى من دعم تنشئة الأبناء المُسند ببيّنات كافية أن تمنع كثيرًا من إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم. وعلاوة على ذلك، توصي المذكرة باتباع نهج شامل أو بالوقاية الأولية من خلال حزمة أساسية من التدخلات لكل والد ووالدة أو شخص قائم على الرعاية.

ما تدخلات تنشئة الأبناء؟

- يمكن تعريف تدخلات تنشئة الأبناء بأنها مجموعة من الأنشطة أو الخدمات التي تهدف إلى تحسين كيفية أداء الوالدين لدورهما وتنفيذه، وتحديدًا المعارف والمواقف والمهارات والسلوكيات والممارسات في مجال التنشئة.[2] ويمكن إدماج التدخلات في الخدمات الموجودة أو تقديمها في صورة برنامج منفصل.

- يتضمن المحتوى الأساسي لتدخلات تنشئة الأبناء الفعّالة الرامية إلى منع الإساءة والإهمال أساسيات نظرية التعلم الاجتماعي ومبادئ التعلق العاطفي، والتركيز على تعزيز مهارات التنشئة والحساسية من خلال توفير إرشادات عملية بشأن التفاعل الإيجابي بين الوالدين والطفل، واستخدام التشجيع الإيجابي، وتقنيات التأديب دون عنف، وحل المشكلات، والتوجيه الاجتماعي والعاطفي، والإشراف المستجيب للنمو.[3]

- ولا بد من دعم تدخلات تنشئة الأبناء بسياسات ملائمة للأسرة توفر للقائمين على الرعاية العناية والوقت والموارد اللازمة لتقديم رعاية جيدة للأطفال.

أسباب أهمية دعم الوالدين والقائمين على الرعاية

- يُعد دعم تنشئة الأبناء ورعايتهم في مرحلة التنشئة على مستوى السكان أحد العوامل التي تُسرِّع وتيرة الوقاية من الإهمال وسوء المعاملة وآثارهما الباهظة التكلفة على الصحة النفسية والبدنية طوال العمر. ويمكن لتنشئة الأبناء الإيجابية أيضًا أن تخفف آثار العنف المجتمعي والتأثيرات السلبية الأخرى.

- وعلى الصعيد العالمي، يتعرض حوالي مليار طفل ومراهق تتراوح أعمارهم بين سنتين و17 سنة للعنف البدني أو العاطفي أو الجنسي كل عام،[4] ويعاني 3 من كل 4 أطفال صغار تتراوح أعمارهم بين سنتين و4 سنوات من التأديب العنيف بانتظام.[5] والأطفال الذين يعانون من تأخر النمو أو الإعاقة أشد عرضة لإساءة المعاملة والإهمال من قِبل الوالدين.

- ترتبط تجربة إساءة المعاملة والإهمال في الطفولة بتطور مجموعة واسعة من المشكلات الصحية النفسية والبدنية.[6] فإن ما يتراوح بين 15% و23% من الأطفال يعيشون في أُسَرٍ يعاني فيها أحد الأبوين اضطرابًا نفسيًا،[11] وقد يمثل ذلك خطرًا على العلاقات الصحية بين الوالدين والطفل إذا لم يحصل الوالدان على الدعم المناسب في الوقت المناسب.

- قُدِّر مجموع التكاليف السنوية التي تُعزى إلى سوء المعاملة والإهمال، وغير ذلك من التجارب السيئة في مرحلة الطفولة، بمبلغ 581 مليار دولار أمريكي في أوروبا، و748 مليار دولار أمريكي في أمريكا الشمالية.[7] ويبلغ العبء الاقتصادي السنوي لإساءة معاملة الأطفال وإهمالهم في إقليم شرق آسيا والمحيط الهادئ نحو 200 مليار دولار أمريكي، أي حوالي 1.88% من الناتج المحلي الإجمالي للإقليم.[8]

[1] UNICEF 2018 unicef.org/sites/default/files/01-2019/UNICEF_Immunization_Roadmap_2018.pdf ص 13

[2] Daly, M., R. Bray, Z. Bruckhauf, J. Byrne, A. Margaria, N. Pecnik, and M. Samms-Vaughan (2015). Family and Parenting Support: Policy and Provision in a Global Context, Innocenti Insight, UNICEF Office of Research, Florence

[3] UNICEF 2020 unicef.org/media/77866/file/Parenting-Guidance-Note.pdf

[4] Hillis S, Mercy J, Amobi A, et al., 2016, Global Prevalence of Past-year Violence Against Children: A Systematic Review and Minimum Estimates Pediatrics. 3)137;2016):e20154079

[5] A Familiar Face: UNICEF: 2017 unicef.org/publications/files/Violence_in_the_lives_of_children_and_adolescents.pdf ص 7

[6] الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة المعني بالعنف ضد الأطفال. الندوب الخفية: كيف يضر العنف بالصحة النفسية للأطفال. نيويورك، ٢٠٢٠

[7] pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/31492648

[8] Fang, X., Fry, D.A., Brown, D.S., Mercy, J.A., Dunne, M.P., Butchart, A.R., Corso, P.S., Maynzyuk, K., Dzhygyr, Y., Chen, Y., McCoy, A., & Swales, D.M. (2015). The burden of child maltreatment in the East Asia and Pacific region, Child Abuse & Neglect, 162-146 ,42.

البيِّنات الكامنة وراء تدخلات تنشئة الأبناء

- توفر تدخلات تنشئة الأبناء طريقة عالية المردود وقابلة للتوسع، لتزويد الوالدين بما يحتاجان إليه من دعم وثقة ومهارات، لتوفير رعاية التنشئة خلال السنوات الأهم في نماء الطفل، حين يكون نمو الدماغ أسرع ما يكون. كذلك توفر هذه التدخلات استراتيجيات فعّالة لتعزيز الصحة النفسية للقائمين على الرعاية ورفاههم، وتحسين العلاقات، والحد من الصراعات، وإدارة الموارد المالية للأسرة، وتخفيف الإجهاد[9] من تنشئة الأبناء، وتعزيز رفاهية الأطفال والآباء أنفسهم.

- أظهرت أكثر من 200 تجربة عشوائية مضبوطة - نُشرت خلال الأعوام العشرين الماضية - انخفاضًا في مشكلات سلوكيات الأطفال والقسوة في تنشئة الأبناء بعد تنفيذ هذه التدخلات. أيضًا تظهر بعض الدراسات انخفاضًا في العنف الأسري، وتعاطي الكحول، والأمراض النفسية.[10,11]

- توجد بيِّنات قوية على الفعالية في شتى البلدان ذات الدخل المرتفع والمتوسط، وبيِّنات جيدة من البلدان ذات الدخل المنخفض، وبينات دامغة على الفعالية في المجتمعات المحلية ذات الدخل المنخفض بغضِّ النظر عن مستوى دخل البلد، وتشير البحوث إلى أن تدخلات تنشئة الأبناء يمكن إلى حد بعيد نقلها من بلد إلى آخر.[12]

التكاليف وعائد الاستثمار

إن تدخلات تنشئة الأبناء الرامية إلى منع سوء المعاملة والإهمال تكلفتها منخفضة ويمكن توسيع نطاقها بسهولة. وقد وسّعت بالفعل بلدانٌ، مثل الفلبين وجنوب أفريقيا وجمهورية تنزانيا المتحدة،[13] نطاقَ البرامج غير التجارية على المستوى الوطني، بتكاليف مماثلة لتكاليف برنامج معياري لتلقيح الأطفال.[14]

إن تكاليف تنفيذ حزمة زيارات منزلية في السنوات الأولى من العمر يمكن أن تبلغ 22 دولارًا أمريكيًا فقط لكل أسرة، حسب السياق والرواتب والنطاق وحوافز المشاركين،[15] مع تعزيزات بمساعدة الأجهزة الجوالة في مرحلة الطفولة والمراهقة تبلغ تكلفتها نحو 8 دولارات أمريكية[16] لكل منها. ومن المرجح أن تنخفض تكاليف التنفيذ انخفاضًا كبيرًا بعد تكاليف الإنشاء الأولية، وفورَ أن تصل البلدان إلى نطاق واسع.

إن العائد على الاستثمار في الميزانيات الحكومية والرفاه الاجتماعي وغير ذلك من النتائج الإنمائية على مدى الحياة عائد كبير، إذ تشير البحوث إلى أن كل دولار يُنفَق على تدخلات الطفولة المبكرة يحقق عائدًا سنويًا على الاستثمار قدره 13%، من خلال تحسين النتائج التعليمية والاقتصادية والصحية والاجتماعية.[17] وتشير التقديرات أيضًا إلى أن حدوث انخفاض بنسبة 10% في معدلات انتشار تجارب الطفولة السيئة (سوء المعاملة والإهمال والتنشئة المختلة) في أوروبا وأمريكا الشمالية يمكن أن يعادل وفورات سنوية قدرها 3 ملايين سنة من سنوات العمر المُصححة باحتساب مدد الإعاقة أو 105 مليارات دولار أمريكي.[18]

[9] Ward, C. L. et al. *J. Child Psychol. Psychiatry 61*, 503–512 (2020)
[10] Cluver, L. et al. *BMJ Glob. Health* 3, e000539 (2018)
[11] Puffer, E. S., Annan, J., Sim, A. L., Salhi, C. & Betancourt, T. S. *PLoS ONE* 12, e0172611 (2017)
[12] Innocenti Research Brief 2017-10
[13] who.int/teams/social-determinants-of-health/parenting-for-lifelong-health
[14] UNICEF 2018 ص unicef.org/sites/default/files/2019-01/UNICEF_Immunization_Roadmap_2018.pdf
[15] INSPIRE Handbook 2018, who.int/publications/i/item/inspire-handbook-action-for-implementing-the-seven-strategies-for-ending-violence-against-children
[16] cdc.gov/coronavirus/2019-ncov/downloads/community/orphanhood-report.pdf
[17] heckmanequation.org/resource/invest-in-early-childhood-development-reduce-deficits-strengthen-the-economy/
[18] pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/31492648/

حزمة أساسية" يمكن للحكومات تنفيذها وتوسيع نطاقها"

تُعدُّ السنوات الأولى من العمر مدخلًا من أعظم المداخل لتعزيز التعلُّق العاطفي الصحي والعلاقات بين الآباء والأطفال. وعلى غرار اللقاحات المضادة لأمراض الطفولة الشائعة، مثل شلل الأطفال والدفتريا، يمكن تنفيذ تدخلات تنشئة الأبناء في سن الرضاع، في إطار الخدمات الحالية، إلى جانب تعزيزات لتوفير مزيد من الحماية خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة. فهذه التدخلات تساعد الوالدين على تنمية المعارف والمهارات من أجل التواصل الفعّال مع أطفالهم؛ لزيادة الثقة في تطبيق استراتيجيات تأديبية إيجابية؛ ولإدارة صحتهم النفسية ورفاههم. واستنادًا إلى البيِّنات المتاحة حاليًا، نوصي بأن تشتمل الحزمة الأساسية لتحقيق تدخلات تنشئة شاملة وعالية الجودة على ما يلي:

إجراء ما يتراوح بين خمس وسبع جلسات شخصية على الأقل في المنزل، أو من خلال تدخلات مركزية، بمشاركة جميع الآباء والقائمين على الرعاية للأطفال دون سن 5 سنوات.

جلسات المتابعة "المُعزِّزة" لمساعدة الآباء والأطفال على اجتياز مراحل النمو الرئيسية (مثل مرحلة الطفولة الوسطى والمراهقة)، وذلك على نحو يعكس تطور احتياجات وقدرات الأطفال والقائمين على الرعاية. ويمكن تقديم جلسات التعزيز رقميًا في مجموعات أو من خلال الجمع بين الدعم الشخصي والرقمي.

وينبغي أن يستفيد جميع القائمين على الرعاية (وأطفالهم) من هذا النوع من الدعم الخاص بتنشئة الأبناء، ولكن لا يحتاج جميع القائمين على الرعاية إلى نفس المستوى أو الكثافة من التدخلات، وقد تتقلب الاحتياجات وتتطور بمرور الوقت. وينبغي النظر إلى ذلك باعتباره حزمة صغرى قابلة للتوسع ينبغي للحكومات دمجها في نهج تنشئة شامل ومناسب للثقافة والسياق، ويشمل ذلك بناء أنظمة مجتمعية لتمكين دعم الأقران بعضهم بعضًا، وإشراك القائمين على الرعاية من الرجال، وإدراج تدخلات أكثر استهدافًا للقائمين على رعاية أطفال يعانون من تأخر النمو والإعاقة.

إن اعتماد حزمة صغرى من تدخلات تنشئة الأبناء على مستوى السكان ينطوي على إمكانية التقليل بدرجة كبيرة من حدوث الإهمال وسوء المعاملة وتكبُّد تكاليف طيلة العمر من حيث النتائج الاجتماعية والصحية والنفسية المرتبطة بذلك.